وجمع مما شاهدهُ وامتحنهُ بنفسهِ ومما شاهدهُ وامتحنهُ غيرهُ ما لو ترجم الى العربية لملا عشرة مجلدات مثل مجلدات المقتطف فهل فعل ابن مسكويه مثل ذلك

ان نسبة ما فعلهُ ابن مسكويه وكل فلاسفة العرب والعجم والهند واليونان والرومان من حيث مذهب النشوء الى ما فعلهُ داروين كنسبة التارب الصغير الذي يصنع الآن في بلاد الفلاحين ويسع رجلين او ثلاثة الى السفينة البخارية التي تقطع الاوقيانوس بعشرة آلاف راكب وفيها من الآلات البخارية ما قوتهُ قوة اربعين الف حصان . او كنسبة العربة التي يجرها حمار الى قطار سكة الحديد . او كنسبة عزبة صغيرة مبنية بالطوب الى مدينة كبيرة مثل القاهرة او باريس او لندن

واذا اردنا ان نباهي باسلافنا فالمباهاة ليست هنا بل في المبادىء الاخلاقية والفلسفية التي وضعوها او اعتدوا اليها فانها قد تفوق المبادىء التي وضعها علماء اوربا وفلاسفتها وكذلك يمكن المباهاة بهم في كثير من الامور الادبية والصناعية التي كادوا يبلغون بها حدَّ الكمال

الباب الرابع عشر

الزراعة المصرية

في عهد الاحتلال الفرنسوي

ادوات الزراعة — معيشة الفلاح — واحوال البلاد

في هذا الزمن (اي في آخر القرن الثامن عشر) لا تزال ادوات الزراعة واخصها المحراث والنورج والمقحفة (المسوحة) والمنجل والرفش والمذراة على ما كانت عليهِ منذ القدم فلم يبغ من حسن فيها او اضاف اليها شيئاً بل بالعكس قد يستغنى عن استعمال بعضها كما يشاهد ذلك في ادفو حيث يستغنى عن استعمال النورج ويكتفى ببسط ما يراد درسهُ على الجرن وتستخدم الثيران لدوسهِ الى ان يتكسر دقيقاً وتتناثر الحبوب من سنابلها . وفي معظم جهات القطر المصري يستخرجون الحبوب مما لا يصلح نشهُ علفاً يدقهِ بالنبابيت الى ان تتناثر الحبوب منهُ وهي ابسط عملية تعمل بالفطرة

وأكثر ما يستخدم من البهائم في الزراعة الثيران وقد يستخدمون الاناث للحرث ويندر استخدام الحمير والجمال لذلك

ومن تأمل حالة الفلاح يرى تمام المشابهة بين سذاجة معيشته وبساطة اعماله . فانهُ يشتغل من طلوع الشمس الى غروبها ويعيش على الذرة والبصل والخيار والقثاء والجبن والفول والعدس الخ فيأكل في اليوم مرتين احداهما في الساعة الحادية عشرة صباحاً والاخرى في المساء وقلما يأكل اللحم الاَّ في شهر رمضان فيأكل شيئاً من لحم الماعز او لحم الجاموس سلوقاً

وتختلف اجرة العامل في الزراعة باختلاف الاماكن فهي في الصعيد غرش او اقل يومياً وتتراوح في مديرية الفيوم وضواحي القاهرة والوجه البحري بين غرش وغرشين

وتقدر نفقة ما يأكل الفلاح في الوجه القبلي بنحو ثلث غرش في اليوم

وهو لا يلبس الاَّ جبة سمراء محوكة من صوف الغنم البلدي وشالاً يضعهُ على كتفيهِ وعمة يستعملها نحو ثلاث سنين ونصف سنة فتبلغ نفقة ملابسهِ سنوياً ١٨ قرشاً ونفقة مأكلهِ ٣٥ قرشاً . ويضاف الى ذلك نفقات شتى لقدر باقي عشر قرشاً فيكون مجموع ما ينفقهُ الفلاح الصعيدي سنوياً نحو ٦٥ قرشاً . وتزيد عن ذلك قليلاً نفقات الفلاح في الوجه البحري

هذه هي حالة الفلاح فيما يختص بمعيشتهِ واعمالهِ . فيرى منها بُعدهُ عن التمتع بالراحة او التمكن من تحسين حالة الزراعة ولا سيما ان معظم المزارعين ليسوا مالكين بل مستأجرين وان المماليك كانوا يضربون الضرائب الباهظة على الاراضي ليتقووا بجاهزهم لعلمهم ان البلاد ليست لهم فلا يهمهم امر تحسينها . وفضلاً عن ذلك كانوا قوماً همجاً على جانب عظيم من الجهل فاستأصلوا بجهلهم كل نظام يعود بالاصلاح

ومع كل هذا الانحطاط كانت البلاد بين امبوط وقلما تحسن في اواسط القرن الثامن عشر لخروجها في ذلك الوقت عن حكم المماليك

ويقطن في اماكن مختلفة على جانبي النيل اقوام رحلت اليها من اليمن وقبائل اتتها من شمال افريقيا فبقي بعضها على بداوتهِ يرعى المواشي وتحضَّر البعض الآخر واحترف الزراعة

وكان منذ نحو ٢٥٠ سنة أن قدمت من ضواحي تونس قبيلة تدعى الهواري واحتلت ما بين جرجا وفرشوط واخذت تعمر الاراضي المقفرة وتغتصب القرى العامرة الى ان استتب لها امتلاك كل البلاد ما بين هو وقرية الشيخ سليم واثرت فعلت كلمتها واشتدت سطوتها

تحت امرة شيخها الذي كان يقيم في فرشوط . وآخر من قاد هذه القبيلة شيخ اسمهُ همام حكم الصعيد من اسيوط الى اسوان وكان يستولي على ريعهِ فيبلغ سنويًّا نحو ١٥٠٠٠٠٠ اردب حنطة يدفعها باشوات مصر وبكواتها . وكانت سلطتهُ تماثل بتعاظم الشقاق بين المماليك واخيرًا جرد عليهِ علي بك جيشًا عظيمًا يقودهُ محمد ابو الذهب فالتقاهُ همام بخمسة وثلاثين الف فارس ولكنهُ هزم عند اسيوط وفرّ الى اسنا حيث مات في سنة ١٧٩٦ وصادرت الحكومة املاكهُ . وقد اتفقت الالسن على امتداح هذا الشيخ وما بذلهُ من العناية بالجسور وحفظ الامن بواسطة خفر انشأهُ في البلاد

وبعد موتهِ صار الصعيد ملجأً للبكوات الفارين فاستفادوا من استخدام الخفر الذي لم يكن لهُ مثيل في المديريات الاخرى . وكانت مطامعهم في العودة الى الحكم على القاهرة تقوي عزمهم في ابتزاز ثروة البلاد فبهظوها بالضرائب الفادحة وزادوا زراعتها انحطاطًا وظلموا على ذلك الى ان استولى الفرنسويون على مصر

اما قبائل العرب التي احتلت ضفتي بحر يوسف والغطنية على شاطئي النيل المقابل فنزعت الى الزراعة ولكنها لم تنزع عنها عاداتها الموروثة من الغزو والقتال . فكانت احيانًا تحارب واحيانًا تسطو على القرى المجاورة فتضطر اهلها إما لمهاجرتها واما لفداء انفسهم وكان موقف الفلاحين حرجًا اذ يرون انفسهم بين قبائل متعادية عرضة للنهب والسلب فيلتزمون ان يدفعوا جانبًا كبيرًا من الضرائب عن القبائل التي تتكفل بحمايتهم من العربان جيرانهم ومن القبائل الرحل التي كانت تجتاح اكثر انحاء الفيوم . وآل الامر الى ضعف الفلاح ورهبتهِ حتى لقد كان ينظر الى هؤلاء الاعراب نظر المستأجر الضعيف الى المالك القوي

وعمت سطوة البدو في جميع اطراف القطر المصري ما خلا الاماكن القريبة من المدن الكبرى حيث قوة الحكومة على اشدها في الوجه البحري ولا سيما عند اطراف مجاري برزخ السويس وجوانب بحيرة مريوط الشديدة كانت فرسانهم تجتاز النيل لاقل داع فتدخل البلاد خلسة وتنهب القرى المجاورة

هذه كانت حالة البلاد لذلك العهد اعراب تغزو وحكام تلهو وفلاح يشقى وارض بالدماء تسقى

الري في العراق

لقد كانت فاتحة اعمال الحكومة العثمانية الحاضرة ان اهتمت بمصادر ثروة البلاد وباغزر هذه المصادر بل المصدر الحقيقي المنتج وهو الزراعة . وكأنها نظرت الى نجاح القطر المصري الذي خرج من الافلاس الى السعة باصلاح الري فارادت ان تقتدي به ولذلك استدعت مهندس الري صاحب المشروعات الكبيرة السر وليم ولككس ليتولى ادارة الري في البلاد العثمانية ولاسيما في العراق العربي

ولم يخطر على بال السر وليم ولككس لما انتبه الى ري العراق منذ خمس سنوات وكتب فيه ما كتب مما عرضناه ونشرناه في المقتطف انهُ يرى في حياته تحقيق امانيه ولا خطر ذلك على بال احد بل لقد قلنا لهُ ان المشروع حسن لذاته ولكن اين الامان على حياة العمال ومَن يكفل للفلاح هناك ان يتمتع بثمرة تعبه ونحن نرى الناس يتركون اراضيهم بورًا هربًا من جور الملتزمين والحكام ولكن التغيير الكبير الذي حدث في الحكومة العثمانية يوم اعلان الدستور قد ازال كل العقبات من سبيل هذا المشروع فاستدعى صاحبهُ حالاً لتحقيقه ولم يبقَ الاَّ ان تصادق الحضرة السلطانية عليه

وقد رأينا ان نعيد الآن نشر خلاصة الخطبة الاولى التي القاها السر وليم ولككس في هذا الموضوع وقد نشرناها حينئذٍ في جزء مايو سنة ١٩٠٣ وهذا نصها

انتقض بابل واشور هنيهة غبار العصور الغابرة . ويعود الى بغداد عصر الرشيد والمأمون ويرتع الامن في ربوع العراق وتفيض الخيرات من دجلة والفرات . كل ذلك محتمل وقد صار على قاب قوسين بعد ان اعتمدت الدول الاوربية على مد سكة الحديد الى بحر فارس . ولكن كم يبقى للسكان من خيرات بلادهم بعد ان تمكن فيها اقدام الاوربيين وتعطى لهم الاراضي الواسعة مع الامتياز وكيف يجاري ابناء المشرق الذين ضعفت همتهم من طول ما لقوا من الذل والامتهان ابناء المغرب الذين نشطوا للعمل منذ مئتي عام وهم لا يرون غير مثيرات النخوة ومقويات العزائم حتى من ملوكهم وامرائهم . هذه مسألة يصعب النظر فيها من الآن

أما تلك البلاد فكانت مهد العمران وخصبها الطبيعي مما لا يختلف فيه اثنان وقد كان ريها منتظمًا في العصور الغابرة انتظامًا لا يفوقهُ انتظام الري في القطر المصري الآن . ومن رأي السر وليم ولككس المهندس المشهور في هذا القطر انهُ يسهل اعادتها الى ما كانت عليه

فتصير مثل القطر المصري من حيث سهولة الري والصرف وتدفق الخيرات . وقد انشأ خطة مسهبة في ذلك تلاها في الجمعية الجغرافية فخصصنا منها ما يلي لعله يكون محرضاً لابناء الشام والعراق على ترك المهاجرة الى البلدان القاصية والتظار ما يمكن عمله في بلادهم . قال ما مفاده :

ان مدينة بغداد تعلو عن سطح البحر (بحر فارس) ٦٦ متراً وتبعد عنهُ ٥٥٠ كيلو متراً على خط مستقيم او ٨٠٠ كيلومتر اذا قيس البعد على مسير دجلة . وحولها الآن قفار قاحلة ولكنها كانت في سالف الزمن تاج ما تحتكمُ الدول التي دان لها المشرق . هذا كان شأن البلاد على مئة ميل حول بغداد من كل ناحية

اذا نزلت في دجلة من الشمال الى الجنوب تصل اولاً الى دورا مأخذ ترعة نهروان والسهل الذي نصب فيهِ نبوخذ نصر التمثال الذهبي ولعلهُ نصبهُ تذكاراً لتجديد هذه الترعة . ثم تل اليج حيث مات الامبراطور يوليانوس من جراحهِ حينما أُخرج الرومانيون من تلك الاقطار واستولى عليها ملوك الفرس فدان لهم المشرق كلهُ . ثم تصل الى اوفيس التي كان فيها اغنى اسواق المشرق التجارية ومنها الى بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين . فالمدائن عاصمة آل ساسان ملوك الفرس فسلوقية عاصمة السلوقيين في المشرق واخيراً تصل الى بابل سيدة المدائن وهي على الفرات لا على دجلة

والبلاد بين ترعة نهروان وبين دجلة شرقاً وغرباً عجزت قبائل العرب عن العبث فيها فظلت اخصب بلدان المشرق وكان ملوك الكلدان انشأوا تلك الترعة وغيرها من الترع لكي يحموا الغزاة عن بلادهم كما فعل منا ملك مصر لما حوّل مجرى النيل الى الجهة الشرقية امام منف لكي يكون فاصلاً بينها وبين القبائل التي كانت تغزو بلادهُ آتية من بلاد العرب

ويقع المطر في تلك البلاد لكنهُ قليل جداً لا يكفي للزراعة . يقع في السنة من اربعة سنتيمترات الى ٢٤ سنتمتراً لا غير فلا بدَّ من ري الارض من الانهار والترع اذا اريد ان تزرع شيئاً

ودجلة من بغداد الى بحر فارس قليل الانحدار لا يزيد تحدُّرهُ على [illegible] فهو مثل النيل من هذا القبيل ويفرق عنهُ في ان الدلتا التي يرسب فيها طمي دجلة بعيدة عن مصبهِ وليست مثل الدلتا التي بين فرعي النيل

ويبتدئ دجلة من الآكام التي الى الجنوب الغربي من بحيرة وان ويمر من عند مدينة نينوى القديمة ويقطع تلالاً حجرية ويعمق مجراهُ حتى يصير نحو ٣٥ متراً وسرعتهُ مترين ونصف متر في الثانية من الزمان ثم يخرج منها ويدخل وادياً منبسطاً فتقل سرعتهُ وتصير

متراً في الثانية وهناك يلتقي ما كان يحملهُ من الطمي المذكور سنة سهل خصيب حول بغداد . وعلى ثمانين كيلومتراً من بغداد جنوباً تصير الرواسب التي ترسب سنة ناعمة جداً مخلوطة بالملح وتستمرُّ على ذلك الى البحر فلا تصلح للزراعة مثل الاراضي التي حول بغداد . ويفيض كما يفيض النيل ويغمر الاراضي التي حولهُ من بغداد الى البحر ويصب فيهِ نهران من الجهة الشمالية الشرقية احدهما فوق بغداد والآخر تحتها ويتفرع من ثانيهما ترع كثيرة

ويبتدئ فيضان دجلة في اواخر فصل الشتاء حتى اذا اشتدَّ الحر واذاب الثلج عند مصادره ومصادر نواصره زاد فيضانهُ فصلح للري الصيفي مثل انهار الهند . وكلما زاد الحر شدة وزادت حاجة المزروعات الى الماء زادت مياههُ فيضاناً

وفي رأس ذلك دجلة خرائب مدينة اوفيس وهي مثل القاهرة في مصر ومنها تبتدئ الترع العظيمة التي تروي ذلك العراق

وكان للري هناك سيلان كبيران الواحد بترعة نهروان والثاني بترعة دجيل جنوبيهُ وكان الاقدمون قد اقاموا سدوداً في الاماكن العالية ترتفع بها المياه ويقال ان الاسكندر المكدوني خرب بعضها ليغزر الماء في دجلة ويسهل عليهِ ركوبهُ بسفنهِ ولا بدَّ من ان يكون بناها بعد ذلك

وترعة نهروان في العراق مثل احد الرياحات الكبيرة في القطر المصري طولها اربع مئة كيلومتر وقد بلغت اعلى درجة من الانتظام على عهد بني ساسان ملوك الفرس ثم على عهد هرون الرشيد . ولها مأخذان من دجلة حتى اذا ملأ الطمي احدهما والتزم تطهيرهُ جرى الماء اليها من المأخذ الثاني . ويُعد المأخذ الاول عن الثاني ستون كيلومتراً وعند ملتقى المأخذين قنطرة موازنة اسمَّى القنطرة الكسروية وعند مأخذ الفرع الاعلى قنطرة اخرى للموازنة تسمَّى قنطرة الرصاص لان الرصاص مصبوب بين حجارتها وكذلك عند المأخذ الثاني قنطرة موازنة اخرى وهي الآن خراب

ثم اسهب في وصف الاعمال الهندسيَّة التي كانت على دجلة من ترع وقناطر وسدود وما اشبه لتسهيل الري وبيَّن ذلك كلهُ بالرسوم وقال في وصف ترعة نهروان ان ترع مصر لا تقابل بها لان اكبر ترعة في القطر المصري لا يزيد عمقها على عشرة امتار وعرضها على ستين متراً واما ترعة نهروان فيبلغ عمقها احياناً خمسة عشر متراً واتساعها ١٢٠ متراً . هذا من حيث نظام الري الاول واما نظام الري الثاني بترعة دجيل فمقدارهُ على ترعة طولها مئة كيلومتر وعرضها خمسون متراً

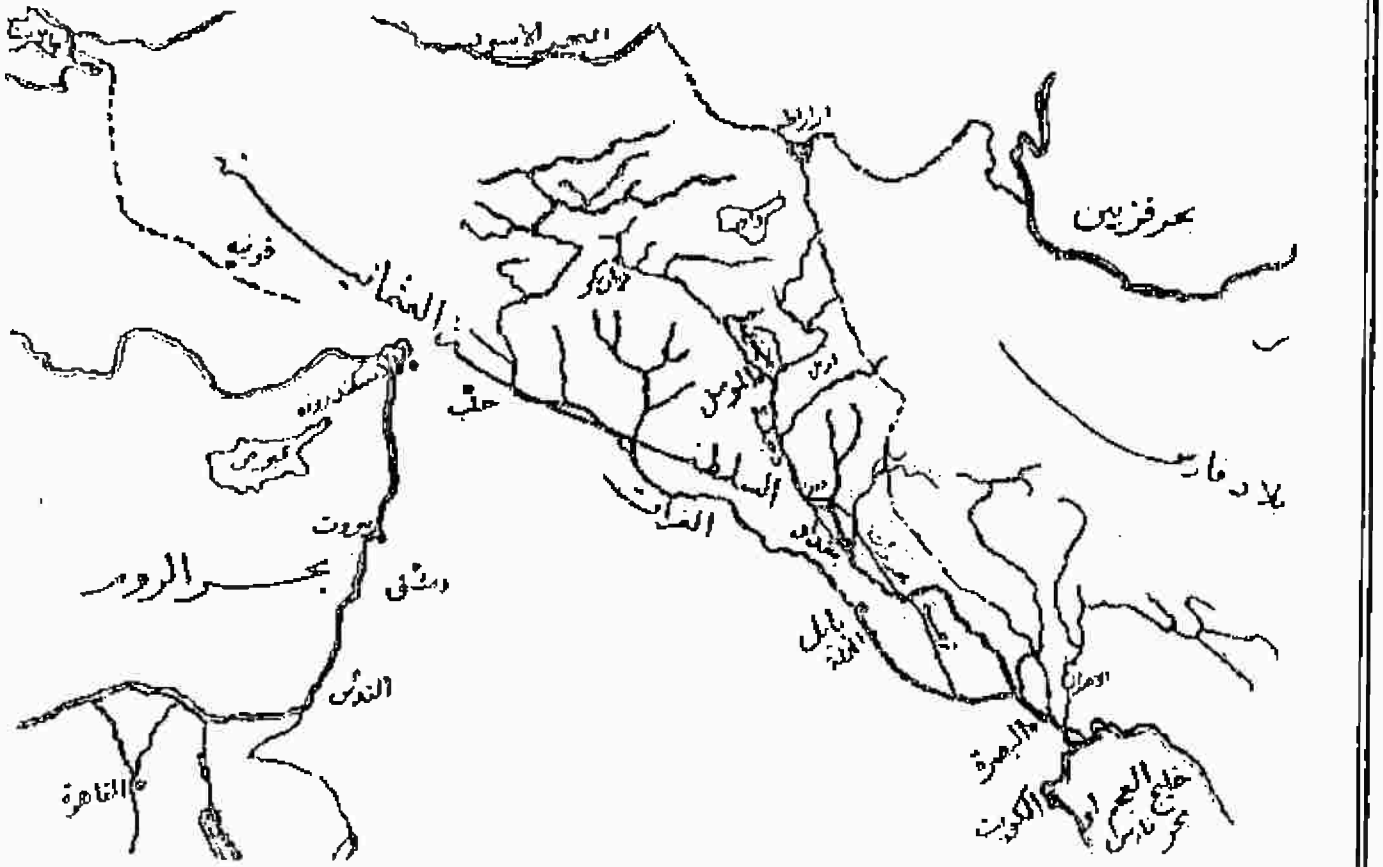

خريطة بابل واشور

وبيّن كيف خربت تلك البلاد وعفت آثار مدنها بطغيان دجلة على ترعتيه وتخريبه سدودها وجرفه كل ما في البلاد من مدن وقرى ومزارع وانسان وحيوان فانتشر الخراب في بلاد طولها اربع مئة كيلو متر وعرضها ثلاثون كيلو متر كانت اعمر بلدان المسكونة واكثرها سكاناً. وعنده ان تلك البلاد تعود الى مجدها السابق باصلاح ترعتهروان واصلاح ري العراق بها. ثم شرح الاعمال الهندسية اللازمة لذلك وقدّر ما يلزم لها من النفقات وما ينتج عنها من الفوائد فقال ان النفقات تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات يصلح بها مليون و ٢٨٠ الف فدان من اجود الاراضي الزراعية فيصير الفدان منها يساوي ٣٠ جنيهاً على الاقل فتساوي كلها ٣٨ مليون جنيه ولا يقلّ صافي ريعها في السنة عن مليوني جنيه فيكون المال الذي ينفق على اصلاحها قد جاء بفائدة ٢٥ في المئة سنوياً

هذا من حيث الاراضي العالية التي في بداءة ذلك دجلة اما البطائح التي تحتها ولاسيما بين دجلة والفرات فهي قاحلة الآن ولكن الدلائل كثيرة على انها كانت تروى وتستغلّ في قديم الزمان كما يظهر من آثار الترع والاعمال الهندسية التي فيها. وهناك ارض مساحتها مليون ونصف مليون من الفدادين بين بغداد وبابل يمكن اعادة ريها وزرعها وقد تلفت منذ عهد طويل وصارت مستنقعات لان الترع التي فيها أُهملت لما تولّى البلاد اناس لا يحسنون امرها فامتلأت مجاريها طيناً وحشائش وتهدّمت جسورها فلم تعُد تكفي لاحتواء ما يجري فيها من الماء فاض على الاراضي التي حولها واغرقها فصارت مستنقعات وبطائح

وقابل تلك البلاد بالقطر المصري وقال ان مجرى النيل لم يمتلئ بالطمي مع ما مرّ عليه من القرون لان ري الحياض كان من مقتضاه اجراء ماء الفيضان الى الحياض على جانبي النيل فيرسب ما فيه من الطمي ويعود اليه صافياً ولكن اذا بطل ري الحياض في القطر المصري خشي ان يرسب الطمي كلهُ في مجرى النيل فلا يعود كافياً لاحتواء ماء الفيضان كلهِ فيطغى على البلاد ويغرقها وحثّ على الانتباه لذلك من الآن. ثم عاد الى ري العراق فقال ان نجاح مصر ابتدأ يوم صمم مهندسو الملك مينا اول الفراعنة على اعلاء جسر النيل الغربي وترك الجانب الشرقي من غير جسر حتى يمتنع طغيانهُ على الجانب الغربي فيصلح للزراعة ومثل ذلك يمكن ان يفعل في العراق فيقام جسر لدجلة على الضفّة الغربية وجسر للفرات على الضفة الشرقية ويمد جسر الفرات الى ما تحت بابل وجسر دجلة الى عند منعطفهِ. وتصلح الاراضي التي بين هذين النهرين وتفتح فيها الترع وتزرع

وقد ثبت لي من اعمال الري في مصر ان كل النفقات اللازمة للسدود والترع والمصارف

وما اشبه تبلغ خمسة جنيهات ونصف جنيه عن كل فدان والنفقات اللازمة لهُ من تقصيب وتلويط وما اشبه تبلغ ثلاثة جنيهات ونصف جنيه والجملة ٩ جنيهات فيصير يساوي ثلاثين او اربعين جنيهاً وقد قدرنا ثمن فدان الارض على ترعة تهروان في بلاد العراق بخمسة وثلاثين جنيهاً بعد اصلاحه واصلاح ريه لان الفدان الذي مثلهُ في مصر يساوي الآن من ستين جنيهاً الى مئة فنقدر الفدان الذي يصلح بين دجلة والفرات بخمسة عشر جنيهاً اي بنصف ما يساويه الفدان الذي مثلهُ في مصر وهناك مليون وخمس مئة الف فدان يمكن اصلاحها كذلك ينفق على اصلاحها وريها وصرفها ١٣ مليون جنيه فتصير تساوي ٢٣ مليون جنيه

وباضافة الاراضي التي في رأس ذلك دجلة الى البطائح التي تحتها تصير المساحة ٢٨٠٠٠٠٠ فدان والنفقات اللازمة لاحيائها ٢١ مليون جنيه فتصير تساوي ٦٠ مليون جنيه على الاقل

وفي ذلك الفرات ودجلة خمسة ملايين فدان اي قدر مساحة الاراضي الزراعية في القطر المصري كلهِ واذا ابتدأ العمل في اصلاحها سهل جلب المال من اوربا لاتمامهِ فان الفدان في مصر يحمل من الدين عشرين جنيهاً ومع ذلك لا يجد الحمل ثقيلاً . ثم اذا مُدَّت سكة الحديد وكثرت فروعها في البلاد زاد السكان وزادت الخيرات وارتفع ثمن فدان الارض المصلحة في اعالي البلاد من ٣٥ جنيهاً الى ثمانين وفي اسافلها من ١٥ الى ٣٥

وختم خطبتهُ بكلام بليغ قال فيهِ

ان امامنا الآن إحياء بلاد قديمة كان اسمها مرادفاً للخصب والفلاح والعظمة مدة قرون كثيرة فقد كان هناك سهول خصبة ومدن عامرة وملوك اعزاء وقوَّاد اشداء ورجال حكماء تداولوها الوفاً من السنين كما تشهد كتب الاخبار ونقوش الآثار وهي لا تقل عن اخبار مصر وآثارها قدماً وصحة . وهناك ادلة كثيرة على غنى تلك البلاد وانها كانت مطمح انظار الفاتحين والملاك عليها غاية ما يفاخرون بهِ فان الدولة التي كانت تملك تلك البلاد في العصور الغابرة كانت تملك المشرق والدولة التي تفقدها تفقد المشرق . بلاد مثل هذه جديرة بان تحيا من مواتها . وان عرفنا السبب الذي اقفرها سهل علينا ان نعيد اليها خصبها السابق . والارض التي اجابت داعي العلم القديم تدفقت منها خيرات كنت بلاط ملوك الفرس معها يؤثر عنهم من الانفاس في الترف والبلاذ لا بدَّ من ان تجيب داعي العلم الحديث وترد المال الذي ينفق عليها اضعافاً كثيرة . ولا بدَّ الآن من الاستعانة بمعارف الغرب على هذه الاعمال كما استعين سابقاً بمعارف الشرق . وقد كانت تلك البلاد تروى وتزرع بواسطة معارف حكماء الكلدان ومهندسيهم ومراقبي الاحداث الجوية منهم وصار احياؤها وزرعها الآن اصعب

عما كان قبلاً ولكن علوم بناء هذا العصر صارت ارقى من علوم الاقدمين ولا يصعب معها رد تلك البلاد الى سالف مجدها تعود جنة الشرق كما كانت قبلاً ويقصدها الناس من مشارق الارض ومغاربها

وتسمى بغداد دار السلام وقلما وجدت السلام من حين بنيت الى الآن لما حلّ بها من تيمورلنك وهولاكو وخلفائهما الذين اضروا بالبلاد اكثر مما اضرّ بها تحول دجلة عن مجراه ولكنها ستجد السلام الذي أضيفت اليه تيمناً وستجتمع الوف وعشرات الالوف من العمال من الهند ومن مصر ايضاً يجتمعون في ذلك دجلة يمدون سكة الحديد من الكويت الى الشمال ويضخمون ترعة من اوفيس الى الجنوب

وستشرع السكة الحديد بنقل العمال والادوات من خليج العجم لحفر الترع واحياء الموات وانشاء المدن ولا يتم مدها واتصالها باسيا الصغرى حتى يكون جانب كبير من الارض قد أصلح وكثرت خيراته لتنقلها السكة شرقاً وغرباً . وليس على وجه البسيطة ارض اصلح من اراضي دجلة لزرع الحبوب ولقد سمعت الدكتور شوينفرث رئيس هذه الجمعية السابق يقول فيها ان من هناك اصل القمح وانهُ كان ينبت برياً في تلك البطاح ومنها نقل الى اربعة اقطار المسكونة ويخصب هناك القطن والذرة وقصب السكر وكل الحاصلات المصرية التي تنبت صيفاً . وهناك وطن المزروعات الشتوية كالحبوب والقطاني والبرسيم والالفيون والتبغ وليست بي حاجة الى الكلام على فراديس بابل وبغداد القديمة . والارض التي اقليمها يزكي المزروعات زكاءها في الاقاليم الحارة وانهارها تسقى من ثلج الجبال فتروي ملايين الفدادين وقت اشتداد الحر والظمإ لا يمتل انها تبقى قفراً قاحلاً بعد ان تخترقها سكة الحديد وتسمى عاصمتها بغداد وراء موارد الثروة . ولا بدَّ من ربح وافر لتلك الطريق مما تنقلهُ من بضائع الشرق والغرب ولكن اذا عاد الى البلاد سابق خصبها وتدفقت منها الخيرات زاد ربحها ربحاً وتحققت فيها آمال الذين انشأوها وخالج نفوسهم احياء البلاد لما اشاروا بها

انتهى كلام السر وليم ولككس ملخصاً وقد الحق خطبتهُ برسوم كثيرة نقلنا واحداً منها لكي يتضح للقارىء مواقع الاماكن التي ذكرها واضفنا اليه اسماء اماكن أخرى اتماماً للفائدة